بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة بحثية بعنوان: اللغة العربية والهوية القومية العربية صنوان

مقدمة إلى: المؤتمر الدولي للغة العربية

إعداد الباحثة: فوز نايف ريحان

مقدمة:

اللغة تحمل هموم متكلميها، وتعبر عن أحاسيسهم، وتنظم ميولهم، وتشبع رغباتهم، وتوحد انتمائهم، وتشكل هويتهم المميزة، فقد يقاس مدى تقدم الأمم بقدر حفاظها على مكونات هذه الهوية. وما استيراد لغة أجنبية لاستخدامها كلغة يومية للتعبير عن مكنونات النفس، أو استخدامها كلغة للعلم والدراسة بدل اللغة الأم، ما هو إلا تعبير صارخ من أبناء الأمة المستوردة عن إحساسهم بالضعة والدونية أمام ثقافات الغير.

اختلف مفهوم اللغة كمكون هوية عبر العصور، وذلك وفق المراحل التي عاشتها الأمم، إضافة إلى الاختلاف الذاتي بين أمة وأخرى. يلاحظ أنه وفي أوقات استقواء أمة على شعوب ومقدرات وسيادة أمة أخرى، تنشأ لدى الأخيرة ردود أفعال عنيفة لصالح الحفاظ على هويتها الوطنية أو القومية، فترفض تلك الأمة اختراق سيادتها وطعن كرامتها وتعبر عن ذلك الرفض أولا بالتشبث بلغتها القومية وحضارتها، وينبثق لدى أبنائها شعور عارم بالاعتزاز بالموروثات الثقافية بغض النظر عن كنه هذه الموروثات. كما ينشأ نفس الشعور لدى القوميات ذات الأقلية داخل الدولة، حيث تدرك هذه الأقليات بأن الغفلة ولو قليلا عن عناصر ومكونات اختلافها وتميزها يعني التماهي والذوبان في مكونات الهوية القومية للدولة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الأكراد وقد حافظوا على هويتهم القومية رغم محاولات الدول التابعين لها تذويبهم وإلغاء مكوناتهم، وكانت اللغة هي السلاح الأمضى لكلا الطرفين. وما محاولات طمس هويتهم بطرق شتى أبرزها منعهم من التحدث بلغتهم، وتغيير أسماء المناطق والشوارع إلى لغة الدولة التابعين لها مثلا إلا رغبة في القضاء على الهوية الكردية، والضغط على الأكراد لصهرهم في الهوية القومية للدولة.[1]

[1] أكرم البني، أكراد سورية: الهوية والحل، المعرفة، موقع الجزيرة نت.

اللغة العربية التي طالما تغنى بها أبنائها قديما، واعتبروها لغة معجزة، وأسبغوا عليها من هالات التقديس ما أسبغوا، كيف لا وهي لغة القرآن الكريم التي اصطفاها الله لإحكام تنزيله. لكن في وقت نزول القرآن وما سبقه وما تلاه حتى قبل الفتوحات الإسلامية، لم تكن اللغة العربية الفصيحة تشكل عائقا أمام العرب، فالفصيحة هي اللغة المتحدثة، كما أن العرب لم يكونوا في ذلك الوقت مضطرين للتعامل مع الأعاجم سوى في أضيق الحدود، وكانت النظرة إلى قدرة المرء على استخدام اللغة العربية شعرا أو نثرا أو بلاغة هي من أهم ميزات الفرسان، ووسيلة لإثبات البراعة والتميز والذكاء بين شعراء العرب الذين استمرت معلقاتهم عالقة في ذاكرة أبناء العروبة حتى يومنا هذا.

في العصر الحديث واجهت اللغة العربية ومعها الهوية القومية العربية تحديات عديدة، ومع مرور الوقت ازدادت هذه التحديات قوة حتى كاد أبناء الضاد لا يؤمنون بجزالة لغتهم ولا يكترثون بمكونات هويتهم، فالمغلوب مولع دائما بالاقتداء بالغالب حسب ابن خلدون وفي هذه المرحلة التاريخية نستطيع اعتبار أمة العرب، أمة مغلوبة لا تملك قرارها السياسي أو الاقتصادي، وهما المحركان الأساسيان لقوة الأمم، والأمة العربية تعاني توجيها خارجيا وسيطرة شبه تامة على أدواتها الثقافية والإعلامية، فباتت تستورد الأفكار الغربية وتسوقها عربيا، فلا عجب إذا أن تتراجع المكونات الثقافية والقومية لصالح القوى الغالبة المتجبرة.

كما لا يمكن بحال من الأحوال إغفال العولمة وما أعملته أدواتها السياسية والاقتصادية والثقافية من طمس للهويات المتميزة في كل العالم وليس فقط في الوطن العربي، فبات العرب يستوردون ثقافتهم من الغرب، ويشكلون فكرهم بما تقتضيه الإرادة الغربية ولا سيما إرادة الولايات المتحدة الأمريكية، فمن يتحدث اللغة الانجليزية بطلاقة تفوق حديثه بالعربية يكتسب بالضرورة احترام أقرانه وتقديرهم، كذلك من يستمع للموسيقى الغربية يعتبر ذواقا... إلى من هنالك من تفضيل لمكونات

الثقافة الغربية، وهو موضوع متشعب ولا يمكن الإلمام به من جميع جوانبه من خلال هذا البحث وبحاجة إلى الكثير من الأبحاث والندوات بل والإجراءات العاجلة.

نظرا لأهمية الموضوع وشدة تعقيده ارتأت الباحثة أن يقتصر البحث على الحديث عن اللغة العربية كمكون أهم للهوية القومية العربية عبر الحقب المختلفة، وذلك من خلال عرض المفاهيم أولا حول ماهية الهوية وتعريفها وارتباطها الوثيق باللغة، وفيما بعد ستخصص الباحثة الموضوع للحديث عن اللغة العربية بصفة خاصة مضمنة ذلك آراء كبار المتخصصين العرب حول الموضوع. وسيتم عرض التحديات الجمة التي تواجه اللغة العربية في تأكيدها للهوية القومية، وأخيرا النتائج والتوصيات.

أولا: رؤية مفاهيمية:

تعريف الهوية: اشتق مصطلح الهوية في اللغة العربية من كلمة "هو"، وكلمة هو تشير إلى شيء ما بخصوصية، وتميزه عن بقية الأشياء، أو تميزه عن غيره من الأشخاص، ولا يمكن لهذا المميز إلا أن يحمل عناصر هويته التي ميزته عن الآخرين. وعناصر الهوية شيء "متحرك ديناميكي" قد تبرز كلها أو بعضها في مرحلة ما، وقد يختفي شيء منها في مرحلة أخرى.[1] والهوية الجمعية الوطنية أو القومية تمنح الأفراد صفة الجماعة، فيتشابه أفراد الجماعة بميزات أساسية ميزتهم كمجموعة، وقد يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة.[2]

قد يرى البعض في الهوية كحاضنة لثقافة بعينها، ولكنها بحال من الأحوال ليست ثابتة، وليست جاهزة أو نهائية، مما يصعب من عملية تعريفها تعريفا مانعا جامعا[3]، فهي بذلك مصطلح هلامي فضفاض ربما تكون بفعل جملة من الهويات "المتراتبة المتغيرة المتململة".

أما الجرجاني فعرف الهوية بأنها " الحقيقة المطلقة المشتملة على حقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".[4] وعند ابن رشد فالهوية تقاس بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه أمم الموجود، وعند الفارابي: "هوية الشيء... عينته وتشخيصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك"،[5]أما مراد وهبة فيرى أن الهوية هي "التشخيص" الذي يعبر إما عن الوجود الخارجي أو يعبر عن الحقيقة الجزئية.[6]

---

[1] إبراهيم القادري، حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية، http://histoire.maktoobblog.com/1152534/

[2] الهوية، ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org/wiki/

[3] ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعةعلم السياسة، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، ص 384

[4] عبد الرحمن بسيسو، الثقافة والهوية، منشورات وزارة الثقافة، 2006،ص 4.

[5] ناظم عبد الواحد الجاسور، م س ذ.

[6] نفس المرجع السابق

ميز علي الدين هلال بين ثلاثة مستويات للهوية، فهناك المستوى الفردي، وهو شعور الفرد بانتمائه إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه منظومة القيم والمشاعر والاتجاهات.[1] والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية.

والمستوى الثاني لدى هلال يتشكل في التعبير الجمعي عن هذه الهوية بصيغة تنظيمات وأحزاب ذات طابع طوعي اختياري، والمستوى الثالث يتشكل حال تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة.[2]

عناصر الهوية: تطور عدد من الهويات بشكل طبيعي عبر التاريخ، وعدد آخر نشأ نتيجة لأحداث أو صراعات أو تغيرات تاريخية سرعت في تبلور المجموعة وتشكيل الهوية. العناصر المكونة للهوية كثيرة ومتعددة أبرزها: اشتراك الجماعة في الأرض واللغة والتاريخ والحضارة والثقافة والطموح وغيرها، فهي ليست أحادية البنية، وإنما تتشكل من عناصر متعددة أهمها: "الإثني والديني واللغوي والأخلاقي والمصلحي"[3].

يرفد الهوية رافدين أساسيين ودونهما تجف الهوية وتصبح عرضة للتقلبات المحيطة، ولعل التراث كمصدر ثابت جوهري يعمل على توفير الذهنية المناسبة لتكوين الشخصية النموذجية التي تنبثق عنها الهوية، أما العنصر الديناميكي المتحرك والمتغير من الهوية فهو المجتمع وهو عنصر يضيف أو يسحب بالإضافة إلى عوامل أخرى من ترتيب مكونات الهوية أو عناصرها. نجد ذلك الطرح قريبا من فكرة نديم البيطار عن الهوية حين وصفها بقوله: " إن هوية الأمم هي هوية تاريخية، والتاريخ

[1] نفس المرجع السابق
[2] نفس المرجع السابق.
[3] نفس المرجع السابق.

هو الذي يشكلها، وهو يعني لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالأمة وحدها تملك الهوية سواء كان مجتمع أو فرد".[1]

الهوية تقوم على قاعدتين أساسيتين: الذات "الفرد" والجماعة، وتلك القاعدتان ترتبطان ببعضهما برباط وثيق، فكل منهما تكمل الأخرى وتعمل على بنائها، فالهوية الفردية صفة شخصية يتسم بها الفرد، وبناء يبنيه الإنسان في مراحل متعددة من حياته، يكونها عبر علاقته بذاته وبالآخرين، وهو ما يعرف بالأنا الاجتماعي أو كما عبر عنه ابن خلدون بوصفه الإنسان بالحيوان الاجتماعي. هذه الأنا تتكون نتيجة احتكاك الفرد بالجماعة،وهنا يبرز ارتباط الهوية الفردية بالهوية الجمعية.[2]والارتباط هنا بمعنى الانتماء، فارتباط مواطن عربي بوطنه يعني انتمائه إلى القومية أو الأمة التي يلتحق بها وطنه الأصغر مع ما تشمله من نواح اثنية ومعتقدية وتاريخية قديمة أو معاشة،وحضارية وثقافية...

هنا ينتقل الحديث للتخصيص، بمعنى التركيز على هوية العربي "المعاصرة" وعلى الرغم من تحفظ الباحثة على استخدام كلمة معاصرة على اعتبار أن الهوية القومية العربية قديمة قدم وجود العرب أنفسهم، ولكن مما لا شك فيه أن هذه الهوية الجمعية العربية تعرضت للمحن طوال تاريخها،ولا يتسع المقام هنا لتفصيل هذه المحن. وعليه فهوية العربي اليوم حسب محمد عابد الجابري هي رد فعل ضد الآخر، ونزوع حالم لتأكيد "الأنا" العربي بصورة أقوى وأرحب فهوية العربي ليست وجودا جامدا، ولا هو ماهية ثابتة جاهزة، بل أنه هوية تتشكل.[3] أما عبد العزيز الدوري فيرى بأن الهوية العربية تكونت مقترنة بتكوين الأمة العربية في التاريخ.[4]وهو تكوين استند إلى عوامل عدة في مقدمتها اللغة والثقافة في إطار الجغرافية التاريخية.

---

[1] نديم البيطار، دراسة عن حدود الهوية القومية.
[2] بسام بركة، اللغة العربية القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد 528، توفمبر 2002، ص 82
[3] ناظم عبد الواحد الجاسور، م س ذ
[4] نفس المرجع السابق.

الهوية القومية: القومية هي الترجمة العربية لكلمة Nationalism وتعني حرفيا أممية، وقد انبثقت عن تشكل الأمة في الغرب نظريتان:

- النظرية الألمانية: تعتبر أن الأمة تقوم على عنصري التاريخ واللغة.
- النظرية الفرنسية: تعتبر أن الأمة تقوم على عنصر الإرادة والمشيئة.

وفي الوطن العربي فالقومية موضوع شائك مفاهيميا إلى حد ما، فاختلف فيه المفكرون أو بمعنى أدق كان الاختلاف في الخلط بين مفاهيم متقاربة، فتم توصيف الوطنية بمعنى القومية، أو الدولة بمعنى الأمة، وربما كان الشعب هو الأمة أو القومية مما جعل هذه المفاهيم جميعها مختلطة، وترى الباحثة أن لا لوم على المفكرين السياسيين بقدر ما هو الحاجة للنظر إلى ظروف المرحلة التي قاموا خلالها بصياغة المفهوم، والمفكر يظل ابن بيئته وكما هو مؤثر في مجتمعه فإنه أيضا متأثر بالظروف السياسية والثقافية المحيطة.

لا يمكن قراءة ما كتبه ساطع الحصري -أبو القومية العربية- بمعزل عن المرحلة التي عايشها وتأثر بها، وقد شهد الكثير من الأحداث السياسية التي عصفت بالدولة العثمانية والأمة العربية، كسقوط الدولة العثمانية والحربين العالميتين الأولى والثانية، ونكبة فلسطين، ونكسة حزيران، إضافة للتغيرات الدولية والمعاهدات والاتفاقيات التي قسمت الدول العربية، كوعد بلفور واتفاقية سايكس بيكو، واطلاعه على الفكر الأوروبي وكيفية تشكيل الأمم كل تلك الظروف مجتمعة خلقت فكر الحصري وصاغت آراؤه القومية التي ظل ينادي بها حتى وفاته.

وقد انحاز الحصري للنظرية الألمانية في نظرته للقومية العربية، وميز بين الوطنية والقومية، على اعتبار أن الوطنية تعني "ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن" ، والقومية هي "ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف باسم

الأمة" وتتقارب الوطنية من مفهوم القومية لدى ساطع الحصري تقاربا كبيرا، بحيث تتداخل كل منهما في الأخرى.[1]

أما ياسر سليمان فخلط متعمدا بين القومية الثقافية والقومية السياسية، وجعل عناصرهما متداخلة. ولتعريف القومية وفق هذا التداخل لدى سليمان طريقتين: الأولى تدرس القومية من الناحية الموضوعية بتوافر كل أو بعض عناصر تشكيل القومية وهي: (المنطقة الجغرافية والذاكرة التاريخية والأساطير المشتركة ووجود ثقافة شعبية مشتركة ومنظومة الحقوق والواجبات المشتركة وقيام اقتصاد مشترك، وفي بعض الأحيان وجود دين مشترك).

الطريقة الثانية لتعريف القومية عند ياسر سليمان طريقة ذاتية بمعنى الإرادة الجمعية لدى الأفراد في اعتبار أنهم يشكلون أمة، هذه الإرادة هامة جدا ووجودها قد يسمح بتشكيل قومية ولو لم تتوافر جميع عناصر تشكيل القومية.[2]

أخذ موضوع الدين كل مأخذ كمكون هوية أساسي لدى الكثير من المفكرين الاسلاميين، ونظروا لكل من تجاهلوا الإسلام أو استبعدوه في تشكيل الأمة العربية على أنهم غير موضوعيين، وغير علميين، وغير واقعيين، بل وأكدوا على أن الدين عامل رئيسي في تشكيل الأمة الإسلامية إن لم يكن العامل الوحيد[3].

مما سبق نجد أنه سواء كانت القومية موضوعية أو ذاتية، ومهما كانت دوافع الأمم لتشكيل قومياتها فلا بد من وجود لغة تبرز هويتها، وتحافظ على بقائها.

---

[1] أبو خلدون ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 23

[2] ياسر سليمان، اللغة العربية والهوية القومية،المعرفة، الجزيرة نت.

[3] سعيد الشيخ، المؤتمر القومي – الإسلامي: نظرة فاحصة، www.djelfa.info

اللغة العربية والهوية القومية: اللغة عبارة عن خلاصة التجربة الحياتية للفرد، ونظرته العقلية والعاطفية فيها. ومن خلال اللغة نستطيع فهم المنطلقات الفكرية لدى الناس كالمنطلق الديني والعلمي وغيرها. ودون امتلاك ناصية اللغة نقف عاجزين أمام إمكانية فهم مراد الآخرين، أو حتى تمكينهم من معرفة ما نقصده أو يدور بخلدنا. حيث أن كل كلمة لها معنى وفقا لموقعها من الجملة، وبأي صيغة وردت، وما هو صوتها، كل تلك الأمور مجتمعة لا يمكن أن تتوافر دون الإلمام باللغة وفهم معانيها ومترادفاتها.

اللغة بشكل عام وضمن دراستها كمكون هوية، تنتفي أهمية مكوناتها الداخلية أو طبيعتها، وإنما تعالج بوصفها فكرة أو مفهوم أو عنصر مميز، ميزها الناس، واتفقوا على اعتمادها عنصر مميز لهم دون سواها، فاللغة من هذا المنطلق وعاء الثقافة نستطيع بالالتفات إليه معرفة انطباعات أهلها وسبر غورهم، ومعرفة ردود أفعالهم حيال واقعهم، والأحداث التي يمرون بها.[1]

من أجل ذلك كانت اللغة وما زالت من أهم أدوات العملية الاجتماعية، والتواصل الإنساني ومن الصعوبة بمكان تخيل أمة قائمة دون وسيلة تواصل اجتماعي وأنساني تجمعها، واللغة تربط الفرد في وقت وحيز اجتماعي معين مع أبناء أمته، وتكسبه القدرة على التفاهم وتحصيل المعرفة وإنماء الفكر، وهي بمثابة حبل متين يشد الأفراد الناطقين بها، ويكون من مجموعهم أمة مميزة قادرة على البقاء والنمو والإبداع.

ولا يغيب عنا أهمية اللغة في إحداث نهضة للأمة، والنهضة تعني الرقي والتقدم والتميز لتحتل الأمة مكانتها التي ترتضيها لنفسها بين الأمم، والنهضة طريق إجباري تسلكه الأمة لبناء حضارتها، وبناء حضارة لا يستقيم دون الاعتماد على عناصر

[1] بسام بركة، م س ذ

خصوصية الأمة الثقافية والتاريخية، ولعل اللغة القومية مرتبطة ارتباطا وثيقا بتحقيق نهضة تفضي إلى حضارة، بل أنها تكاد تكون العنصر الأول الفاعل، ولا نرى في الحضارات التي وجدت سابقا أو المؤثرة حاليا حضارة استقامت دون لغة قومية تحافظ على مكتسباتها النهضوية.

فاللغة في عرف عالم الإنتروبولوجيا إدوارد سابير تشكل أداة للتبادل الاجتماعي، وضمان إبلاغ الأفكار والرغبات والانفعالات بين الجماعة. وهي تشكل أداة فعالة للتجميع بإحداث تماسك الجماعة وتقويته، وتسهم في تنمية الشخصية وتفردها[1]. ومن شأن اللغة حسب موس أن تحمي "روح الشعب". وروح الشعب أقوى وأكثر تأثيرا من الدولة ومن الأمة فهي القوة الخفية المعنوية التي تضمن بقاء الجماعة[2].

واللغة العربية كلغة قومية للعرب حاضنة ثقافتهم فضلا عن عوامل أخرى لا تقل أهمية عن مكونات الهوية القومية كالدين والتاريخ المشترك بل أنها تفوقها، وهي تشكل في مجموعها المكونات الأساسية للقومية العربية، وقد ركز الكثير من المفكرين العرب على اللغة دون سواها، فرأى فيها زكي الأرسوزي "سر عبقرية الأمة" ومفتاح حل مشاكلها[3]،وكذلك فعل ساطع الحصري إذ يقرر "أن اللغة سواء قلنا أنها خلقت دفعة واحدة من قبل الله، أم ذهبنا إلى إنها تكونت تدريجيا بعمل العقل، فلا يمكن أن نشك في أنها – في الحالة الراهنة – تؤثر في التفكير تفكيرا عميقا وتسدده وتوجهه توجيها خاصا... فاللغة القومية تعتبر بمثابة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب. أن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتاريخ والفلسفة والتقاليد والدين. فقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في بقاء هذه اللغة"[4].

---

[1] ياسر سليمان، م س ذ
[2] نفس المرجع السابق.
[3] نبيل علي صالح، فكر عربي قومي... زكي الأرسوزي، www.esyria.sy/elatakia/index.php
[4] ساطع الحصري، ما هي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، ص 56

لقد كان موضوع اللغة العربية في الماضي القريب وتحديدا بعد سقوط الدولة العثمانية حتى يومنا هذا مثار جدل بين المفكرين العرب، ولكن قلما نجد أحدهم قد قلل من شأنها أو اعتبرها عنصر ثانوي لتكوين الأمة العربية, وقد دار الجدل وما زال دائرا حول استخدام الفصحى أو العامية على اعتبار بعض المفكرين بوجود قوميات أخرى غير العربية مثل القومية المصرية، واستخدام اللغة العربية أو لغات أجنبية في التعليم، وكذلك مدى مواءمة اللغة العربية لروح العصر، ووظيفتها الثقافية والإعلامية، ومدى قدرتها على التعبير عن المستجدات العلمية والتقنية.

لذلك نجد اختلافا بين التيارات القومية العربية المختلفة، تبعا لاختلاف نظرتهم لمعنى القومية نفسها، ووفقا للمرحلة التاريخية والسياسية والثقافية التي وجدوا فيها، وبل وضمن الفكر والنزعة الثقافية الموجودة في عصرهم، ولا يخفى أن المنطقة العربية مرت بتحولات عظيمة وكبيرة ودأب المفكرون يعبرون في الواقع عن تطلعات الجماهير العربية المختلفة.

من خلال مراجعة أفكار أساطين الفكر العربي فيما يتعلق باللغة العربية وأهميتها في تعريف وصنع الذات القومية، وهذه المسألة بالذات هي محور الاختلاف بين المفكرين العرب. فما بين دعاة قومية عربية تلغي كل الفروق بين العرب وتعاملهم كأمة واحدة ذات وحدة متكاملة كما هو ساطع الحصري، أو دعاة قومية وطنية تمثلت في قوميون لبنانيون، أو قوميون مصريون، أو قوميون سوريون...

عميد الأدب العربي طه حسين دعا لتحديث اللغة العربية لتناسب الأمة المصرية، كما دعا لتدريس العربية في جميع المدارس المصرية إيمان منه بأهمية اللغة في صياغة طرق التفكير والعلاقات الاجتماعية، وفي فترة حكم جمال عبد الناصر تعاظم اهتمام طه حسين بالعربية وحماية الفصحى وأصبح يرى دورها أساسيا في دمج

مصر مع القومية العربية[1]. أما لطفي السيد الذي لم يؤمن بأي معنى لكلمة الأمة إلا (الأمة المصرية) وقد دافع السيد عن رباط القومية المصرية بشكل مستقل عن الروابط الدينية أو العربية، فالقومية المصرية هي أساس انتماء المصريين، ولتحل اللهجة العامية المصرية بديلا عن اللغة العربية للقضاء على الازدواجية لدى المصريين [2].

انطلق سلامة موسى من انتماء مصر الثقافي لأوروبا، وأنها جزء من الإمبراطورية البيزنطية في مصر، أما أصول الشخصية المصرية فوجدها سلامة موسى في جذورها الفرعونية، لذلك هاجم اللغة العربية واعتبرها متأخرة وتعطل التقدم الاجتماعي، وتنتج عقليات قديمة جامدة متبلدة لعجزها عن مواكبة التقدم العلمي والصناعي ولذلك وكوسيلة للإنقاذ اقترح موسى كتابة العربية بأحرف لاتينية لتحمل معنى واحدا للكلمة الواحدة، وعدم اختراع كلمات عربية للكلمات العلمية وابقائها كما هي. واقر سلامة موسى بأن من لا يعرف سوى العربية فهو سائر في درب الجهل إلى ما لا نهاية[3].

وحذا حذوه في عصرنا الحالي كريم مروة الذي أوجد الحل لمشكلة العرب في التماهي مع كل ما يأتينا من جديد من العالم، وأن التمسك بالتراث يقف عائقا أمام التقدم، فالتقدم هو عملية مطلقة لا تتم في وجود خصوصيات قومية محددة الهوية[4].

أما بيير الجميل فنادى بضرورة الحفاظ على العربية في لبنان مع نشر لغات أجنبية أخرى كالفرنسية والانجليزية، فلبنان لدى الجميل مهم للغرب لأنه يفسر أفكاره وقيمه الروحية للعرب. وكذلك كان مواطنه عبد الله لحود حيث رحب بكل لغة تسعى إلى الانتشار في لبنان ثقافيا أو علميا سواء كانت هذه اللغة فرنسية أو انجليزية أو

---

[1] ياسر سليمان، م س ذ
[2] عبد الإله بلقزيز، الليبراليون والمسألة السياسية، موقع العربية نت.
[3] باسنت موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية للراحل سلامة موسى، موقع الحوار المتمدن
[4] ياسر سليمان، م س ذ

برتغالية أو ايطالية... مع التأكيد على صدارة العربية كلغة قومية وقد دافع لحود عن العامية اللبنانية واعتبرها مشمولة داخل اللغة العربية، ونحى نحوه كمال يوسف الحاج فكانت العامية - وفقا لفكره- تعبيرا عن وجدان الإنسان والفصحى تعبيرا عن العقل، واعتبر الحاج أن لا فرق بين القومية والإنسانية.

وفي سوريا برز أنطوان سعادة الذي دعا إلى قومية مناطقية (القومية السورية) فأنكر أهمية اللغة كمكون هوية قومية لصالح البيئة ، وهو لم يهمل اللغة بل وشدد على أهمية وجود لغة واحدة تساعد أعضاء الأمة في عملية الاتصال والتواصل، ولكن سعادة قال بأن على اللغة أن تكون خادمة للأمة لا الأمة خادمة لها، وأن تعبر بهذه اللغة عن "نفسيتها ومثلها العليا" السورية الأصيلة الذي انقطعت عنه بفعل الفتوحات الفارسية والرومانية وحتى الفتح العربي الذي نشر اللغة العربية لتصبح لغة للأمة السورية ولذلك أصبح من الضروري الحفاظ عليها[1].

وللمفكرين الإسلاميين شأن آخر، فعلى الرغم من اتفاقهم مع القوميون والحداثيون على اعتبار اللغة العربية أحد أهم مقومات الأمة، فإن الخلاف على موقع الدين الإسلامي من تلك المقومات، وهل هو ضمنها أم لا؟ لا سيما بعد انحسار موجة المد الفكري القومي العربي لدى الشعوب العربية، ونزعة التدين التي مالت إليها الشعوب العربية في العقود الأخيرة، ويرى المفكرين الإسلاميين أن الإسلام هو الذي ارتقى باللغة العربية وحولها من لغة المبارزات الشعرية إلى لغة كلام الله والفقه والأحاديث النبوية، بل واعتبرت في مرحلة من المراحل دراسة اللغة العربية من العلوم الشرعية على اعتبار أن ما لا يتقنها لا يمكن أن قادرا على الإلمام بعلوم الدين والفقه والتشريع[2].

[1] شاهر الخضرة، نوفرة دمشقية، أنطوان سعادة: هوية اللغة، موقع منتدى القصة القصيرة.وفي نفس الموضوع يمكن أيضا مراجعة ياسر سليمان، م س ذ

[2] أحمد جميل حمودي، الأمية الجديدة: تدني مستوى اللغة العربية عند غير المتخصصين في التعليم الجامعي، موقع الحوار المتمدن

والقرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية ووحدها في لهجة قريش التي نزل بها القرآن، وتجاوزت اللغة العربية حدود القبيلة والقوم وارتبطت بالإسلام فكانت لغة عقيدته وشريعته وخطابه إلى جميع البشر. ثم أن الرعاية التي رعاها المسلمون للعربية كانت انطلاقا من ظروف دينية، فوضع قواعد النحو وتنقيط الحروف العربية، ووضع أصول معاجم اللغة تمت لغرض خدمة القرآن الكريم[1].

ترى الباحثة أن لحديث عن اللغة العربية بمعزل عن الدين الإسلامي هو أمر غير منطقي، فكلا العاملين ساهم في نهضة الآخر، وقد سبقت العربية الإسلام ولكن الإسلام منحها القدسية وهو قادر على بعث الروح فيها كلما خبت جذوتها. أما ما يختص بغير المسلمين من أبناء الضاد فالإسلام أيضا شكل جزء من ثقافتهم بحكم انتماءهم للأمة العربية والإسلامية، ومن البعد عن المنطق الحديث عن إحداها – العروبة أو الإسلام بمعزل عن الأخرى- وفي هذا ظلم للقيمتين.

الصعوبات والتحديات التي تواجه اللغة العربية: إن التحديات التي تواجه اللغة العربية بالضرورة تواجه الهوية القومية العربية، مع التسليم بقوة الرابط الذي يربطهما معا. فاللغة العربية هيمنت على الصياغة الأيدلوجية للهوية القومية في الوطن العربي، فتعريف العرب مرتبط بلغتهم العربية، وقد كثر الحديث عن صعوبات ومخاطر وتهديدات تواجه العربية حتى خيل للقارئ أو السامع أن لغتنا العربية آيلة للزوال. وفي هذا مبالغة كبيرة تغفر لأصحابها لحسن النوايا، ولكن الأجدى بنا كعرب عند مناقشة مسألة متعلقة بالمصير والوجود كمسألة اللغة أن نتحرى الدقة والموضوعية، بمعنى الابتعاد عن المبالغة أو التصغير من شأن الموضوع.

[1] سعيد الشيخ، م س ذ. يمكن أيضا للاستزادة مراجعة كل من الكتب التالية: اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام لعلي الشابي. وعالمية اللغة العربية لمحمد بن الحاج.

لاشك أن الهويات القومية ممثلة بعناصرها حول العالم وليس فقط في الوطن العربي تتعرض للتهديد، لصالح هوية وثقافة القوى العظمى وبشكل خاص الولايات المتحدة الأمريكية التي تمسك بزمام النظام العالمي الجديد أو ما اصطلح على تسميته "العولمة"، وهو موضوع معقد ومتشابك وله أذرع في جميع الاتجاهات. فالعولمة نهج رأسمالي تجاوز الإمبريالية، وأهم أدواته رأس المال، وبالتالي فالعولمة خدمة رأس المال هذا، وتعمل من أجله على تفريغ العالم من مضامينه ومفاهيمه السابقة، لإكسابه مفاهيم ومضامين جديدة. حقا أن العولمة ظاهرة ذات طابع اقتصادي، ولكنها تنطوي أيضا على أبعاد ثقافية وسياسية، فهي تسعى إلى سيادة ثقافة عالمية واحدة، وتنميط الثقافات المختلفة على النمط الأمريكي.

تطمح الولايات المتحدة الأمريكية إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، وذلك بخلخلة البنى الثقافية الموجودة لدى الأمم والمجتمعات، وغرس مفاهيم وقيم ومعايير الثقافة الغربية التي تهيمن عليها القيم النفسية والسلوكية والعقائدية الأمريكية. وتكمن الخطورة في كون البنى المستهدفة شكلت وعلى مدى عقود طويلة الإدراك والتكوين النفسي والثقافي للشعوب العربية. وصنعت المحتوى الفلسفي للإنسان العربي، ورسمت هويته المميزة. فالتغيير المطلوب يصل إلى عمق مكونات الشخصية العربية.

لا شك أن اللغة تتربع على عرش المكونات الثقافية والقيمية للإنسان العربي ، وهي بذلك وقد أصابها من سهام العولمة ما أصاب غيرها من مكونات الهوية والثقافة، ولكن وضمن حالة الاختراق الثقافي الذي يتعرض له الوطن العربي تطل برأسها تساؤلات ملحة حول ثقافتنا العربية، فما الذي أصبح يدعونا للنظر إلى ثقافتنا على أنها ثقافة دونية، ولا تصلح لهذا الزمن؟! نلاحظ أن الثقافة الأمريكية تستقطب فئة الشباب من المجتمع العربي وهم يعانون حالة اغتراب ثقافي وفقدان جزئي للهوية، ويفتقدون الشعور القومي تجاه مجتمعاتهم أو لغتهم أو معتقداتهم، بل أنهم

ينظرون لممتلكاتهم الثقافية كعائق حقيقي يقف أمام تواصلهم مع مكونات الحضارة الغربية.

بالمقابل هناك فريق آخر يرفض التغريب بكل صوره، ويدعو للارتداد إلى جذور الثقافة العربية والتمسك بها، ورفض كل ما هو قادم من الغرب بخيره وشره، وهم يدعون للانغلاق والتقوقع على الذات معطلين إمكانية الأمة العربية الاستفادة من ثقافات الأمم الأخرى. وهو أمر أصبح اليوم من ضروب المستحيل. أما هو ممكن أو تعتقد الباحثة أنه ضروري ألا وهو المحافظة على المكونات الثقافية والقومية للأمة العربية وعلى رأسها اللغة العربية، دون الاستغناء عن الشق الموضوعي للعولمة المتمثل في الانفتاح على ثقافات الآخرين وأخذ منها ما هو متناسب مع ثقافتنا العربية، وهو أمر لا ينكره أبناء الأمم المتيقنين من قوة لغتهم وعمق ثقافتهم.

أمر آخر يكثر الحديث حوله عند مناقشة العقبات التي تقف في طريق اللغة العربية وهي احتواء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ما يربو على عشرون لهجة عامية تجعل من التفاهم بين أبناء العروبة أمر لا يتحقق دائما، بل أنها وفي بعض الدول العربية يحتوي البلد الواحد على عدة لهجات مختلفة يعتز مستخدميها من أبناء البلد الواحد بها ويعتبره هوية له. وبذلك تنتقص مهمة أساسية من مهام اللغة القومية وهي توحيد الشعوب على لغة واحدة يستطيع أبناء الأمة الواحدة التواصل الثقافي ونقل الأحاسيس والخبرات بين بعضهم البعض.

من وجهة نظر الباحثة أن هذه المسألة حملت أكثر مما تحتمل، وانشغل بها الباحثين بأكثر مما تستحق، وهي مسألة موجودة منذ أيام العرب الأولى فمعنى أن القرآن نزل بلهجة قريش فهذا يعني وجود لهجات أخرى لقبائل عربية كانت موجودة، فالأمر ليس مستهجن وليس من اليسير الآن توجيه العرب للتحدث بالعربية الفصحى، بل هو عامل لابتعادهم عنها في ظل الظروف الموجودة والقائمة على الاستسهال.

كما أنها في جزئيتها المتعلقة بصعوبة فهم اللهجات العربية في طريقها للزوال، فالثورة التكنولوجية التي سهلت التواصل بين الشعوب المختلفة، وثورة الفضاء الإعلامية التي وفرت الوصول إلى جميع العرب من خلال محطاتهم الفضائية، فأصبح المواطن العربي ومن خلال البرامج الناطقة باللهجات العامية العربية قادر على استيعابها وتمييزها، ولكن ذلك لا يغفر بأي حال من الأحوال لأي عربي عدم إتقانه للغة العربية قراءة وكتابة بالشكل الصحيح وتضطلع بهذا الدور العظيم المؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة، ووسائل الإعلام.

بناء الثقة لدى العرب بأهمية لغتهم وقوتها وعمقها وقدرتها على تلبية متطلبات العصر يحتاج إلى جهود حثيثة، ولكن قد تذهب هذه الجهود سدى إن لم يرافقها برامج تنموية حقيقية. فحالة الانكشاف والضعف العربي في مختلف الميادين، والعجز العربي في حماية المنجزات الثقافية والعلمية التي حققتها الأمة من قرون خلت، أضعف الإحساس بالانتماء لدى أبناء هذا الجيل، وأضعف من تقديرهم لمكونات هويتهم القومية. وبسبب تواصلهم الدائم مع وسائل الإعلام ولا ينكر أحد أهمية الإعلام في صنع الإنسان حتى أكاد اجزم بأهميته كعنصر أول في توجيه اهتمام الناس وتشكيل ميولهم وانتماءاتهم. هذا التواصل مع وسائل الإعلام وبشكل خاص المرئية وخاصة التلفاز والشبكة العنكبوتية وإهمالها للغة العربية واستخدامها للعامية أو خلط العامية بلغة أخرى كالانجليزية أو الفرنسية يضعف من قيمة اللغة لدى المتلقي الذي يكون في العادة من حديثي السن، ويوصله إلى قناعة بضعف لغته أمام اللغات الأخرى، ويشعره بأنه ولكي يكون له موطأ قدم في هذا العالم فيجب أن يدمج لغته العربية الضعيفة أصلا بلغات أخرى، ويكتب العربية بحروف لاتينية حتى لا يتهم بين أقرانه بالرجعية والتخلف.